تداخل معها الفن المعماري الإسلامي

العمارة اليمنية صفحة مشرقة ومهبط إلهام الشعراء ونبع أغاني التراث

قد يسأل سائل عن اهتمامنا بتقديم النماذج الجمالية على هذه الصفحات، ونجيب: لأنها نماذج فنية على أكبر قدر من المعالجات الإبداعية، رفيعة المستوى، لكنها في الوقت ذاته لاتنتمي إلى متاهات المدارس العقلانية الغامضة والتجريد الحديث، أي أنها تجمع بين عالمية الفن وعبقرية الفنان والجماليات البصرية المبهرة، والسبب في ذلك هو حرص الصفحة الثقافية على تقديم نماذج فنية رائعة من الفن التشكيلي اليمني، في صورة ميسرة جميلة، بعيدة عن الطلاسم التقنية والمذاهب الغارقة في الذاتية واللاشعورية وما وراء الطبيعة وغياهب الأحلام والتيارات الغربية التي أتت بها تعقيدات المجتمع الغربي في القرن العشرين.

د.زينب حزام

إن لوحتنا هذه هي أشبه ما تكون بسلة زهور على مائدة متخمة بصنوف الطعام والشراب، وليس معنى هذا أن عوالم التجريد ليست فنوناً راقية، ولكنها تفتقر إلى الجمال الطبيعي والمثاليات البصرية التي نحرص عليها وعلى وجودها وتقديمها إلى القراء على اختلاف نزعاتهم وتفاوت ثقافاتهم ومداركهم وتذوقهم في شتى إنحاء الوطن اليمني الفسيح ونقدم الرائعة الفنية بالمستوى نفسه من اليسر والوضوح ولهذا ركزنا في استعراضاتنا لروائع الفن اليمني على مدى السنوات الماضية، على الفنانين الذين يحظون بالمواهب الفذة والعبقرية الفنية والأساليب الجمالية المبهرة، كما قال (رينوار): إن الفن عندي بصرية جميلة ممتعة قبل كل شيء.

ونقف اليوم عند إحدى روائع الفن المعماري الإسلامي في اليمن، وعن القيمة الجمالية في العمارة الإسلامية فرغم اختلافات الفن بين العمارات الإسلامية في بعض التفاصيل أو العناصر المعمارية الإنشائية إلا أنها جميعاً تشترك في وحدة الروح الإسلامية الكامنة وراء التشكيلات والتكوينات الزخرفية التي أصبحت تقليداً معمارياً يحفظه البناؤون عن ظهر قلب.

فن العمارة الطينية في حضرموت

في حضرموت العديد من العمارات الطينية التي تحمل أسرار المبدعين اليمنيين والعديد من القصور الإسلامية، والعديد من القصور والمساجد - والجوامع، مثل منارة المحضار، أو بوابات مثل بوابة دار عبدالله العيدروس المنشأة في القرن التاسع الهجري التي تحمل سورة (يس) كاملة.

والسور يمثل وظيفة أخرى هي إضفاء خصوصية على حرم البيت من الداخل والأبواب والنوافذ مصنوعة من الخمر، وهو خشب قوى.

زوايا سور البيت الخارجي، أو أركان جدرانه لا تعرف القسوة، إنها مستديرة ناعمة، كأنها تؤهل السائر للمنحى القادم والمدخل التالي فلا يفاجأ القادمون في عكس الطريق. هي أيضاً انحناءه مستقيمة من أسطوانية المئذنة، وعزف على أحد مفاهيم العمارة الإسلامية، في البيوت الصغيرة التي لا تملك السور الحافظ من العيون الساتر من النظر، يحتال المعمار بأن يجعل الباب وراء جدار لايغطي سوى الباب، وكثيراً ما يكون مثل منبر، تصعد إليه بدرجتين أو أكثر من عمارة المسجد من الداخل.

البيوت في حضرموت اغلبها من ثلاثة طوابق. على جدرانها نقوش وزخارف على هيئة دوائر وخطوط، وبعض الجدران تزدان بآيات من الذكر الحكيم وربما أبيات من الشعر، في عمارة البيوت القديمة ويلاحظ المتأمل وجود شماسة. وهي فتحة للتهوية من الداخل. بنيت المدينة على نظام الحارات ويمكن أن تحدد مجموعة كل حارة حين تنظر إليها من علو.

وعلى الرغم من تلاصق المنازل. نجد في كل حارة مجموعة من المساجد. وأمام كل مسجد بستان.

وأحياناً بئر للسقاية أو آثارها الباقية .

وهناك - أحيانا - حوض لسقي الماشية تذهب مياهه الزائدة لري أشجار نخيل ومحاصيل ما أوقف عادة المسجد، يذهب ريعها أليه.

بعض البيوت الجديدة في تريم قد لا تلتزم بمادة البناء التي اشتهرت بها المدينة، الطين واللبن، المخلوط بالتين، لكنها تحاول أن تأخذ سمة البيوت بتصميمها المعماري، وواجهاتها الملونة بلون الطين.

مآذن اليمن والزخرفة الإسلامية

في اليمن لم يكن هناك طراز خاص في بناء المآذن، وكان التأثر بأساليب الدول الشقيقة المجاورة مثل السعودية ودول الخليج العربي موجوداً وذاع بناء المئذنة المربعة ثم المثمنة الأضلاع على قاعدة مربعة.

وقد بني مسجد عمر المحضار بن عبدالرحمن السقاف في سنة 823 هجرية (1419م) اما مئذنته الأشهر في اليمن فتقوم على قاعدة مربعة الشكل الى ارتفاع 40 متراً طولاً وصحيح ان العمارة الطينية لها حضارتها الاستثنائية كان جديداً على حضرموت النوافذ المستطيلة والبناء الهرمي دون ان ينسى التقاليد المحلية في الإنشاء والزخرفة، وهي ماراه الجنيد علامة على النضج المعماري وفهم اسرار العمارة الطينية .

ومسجد آخر بناه المعلم عفيف ومسجد باهارون، ومسجد شهاب الدين ومسجد الزهرة وكلها في النويدرة بمدينة تريم، وما جمع بينها أن لها منارات اسطوانية الشكل. وهو ما يثبت أن منارة المحضار لم تكن استثناء في الطول وحسب بل كانت أيضاً ابتكاراً في الشكل.

وفي بعض المساجد في حضرموت يغطى بدن الصومعة بمربعات القاشاتي الزخرفي، بما يكسب الصومعة كلها منظراً فريداً. كما نرى في بقية الجوامع.

ومنارة المحضار مازالت تستوقف الأنظار بارتفاعها الشامخ وخطوطها الهندسية الرائعة وقد أعيد ترميمها ما اكسبها جمالاً وزخرفاً.

لقد كان بناء المساجد من الضرورات الأساسية لأي مجتمع إسلامي، حيث يلتقي المسلمون فيها وينظمون شؤون حياتهم الدينية والاجتماعية ويتلقون الوعظ في أمور دينهم وكانت هذه الحاجة الوظيفية أساساً هي سبب الابتكارات العربية الإسلامية أصالة في إقامة بيوت الله .. وارتفاع مآذنها ليرتفع من فوقها نداء المؤذن .. (الله اكبر) .. (حي على الصلاة)..

تاريخ المعادن وزخرفة الفن الإسلامي

في المتحف الوطني اليمني في عدن، توجد العديد من الزخارف الإسلامية، على المعادن والأواني، وتنوع المشغولات الإسلامية التي يضمها المتحف بين أباريق صب الماء التي تزين جسدها كتابات ونقوش نباتية هندسية دقيقة ويحلق فوق رؤوس بعضها الطير، أو مباخر يخفي دخان بخورها نوافذ الهيكل البرونزي المزينة بسحر وحروف أو صحاف تحمل الطعام من شغل فنان وبصماته، وبها أيضاً قنينات للعطور تتجمد على جدران بعضها قطرات المعدن كأنها ندى يعبر العطور فضلاً عن مصابيح الزيت التي تعيدك إلى عصر ألف ليلة وليلة، والمقلمة والمحبرة التي تدرك بالنظر إليهما كيف انطوت صفحات التاريخ بينهما. تم ترجع البصر فإذا هي مكحلة للعين أو فوهة لصنبور مياه، ربما نمائم على أشكال الطيور والحيوانات في حديقة المشغولات المعدنية الإسلامية المصنوعة من النحاس والبرونز فما بالكم بما هو مصنوع من الفضة والذهب.

كما يوجد في المتحف الوطني بعدن منحوتة أسد واقف من البرونز، ويعود إلى العصور الإسلامية، ويتميز بزخارف وأشغال نحتية بين الخط العربي، في الصدر الموجه لمشاهده فيما تعبر لحظة التجسيد عن تأهب مشمول بالقوة، فم مفتوح، وذيل مرفوع كما يوجد في المتحف معرض لأشغال السيراميك والزجاج في العصور الإسلامية، وقسم كامل للمجوهرات التقليدية العربية والإسلامية الذهبية والفضية.

وفي قسم النسيج، توجد عروض لمقتنيات نسيجية لأزياء وعروض يمنية إسلامية، فضلاً عن قسم للآلآت الموسيقية وأدوات معدنية منتمية للحضارة الإسلامية، والأسلحة القديمة.

كما يوجد في المتحف الوطني آلات موسيقية قديمة ومنها ما يعود إلى العصور الإسلامية علقت على جدران المتحف الذي يحتوي على الزخارف والنقوش الإسلامية التي تدل على فن الحضارة الإسلامية العربية، ويعد مبنى المتحف الوطني في عدن دليلاً واضحاً على مدى أصالة الفن المعماري اليمني وما يحمله من كنوز وثروة نفيسة من تلك الجواهر المكتوبة والمخطوطة وألواح الخشب ومصنوعات المعدن.. آيات متجددة للفن.

النحت بالرمال.. عالم مدهش على كورنيش أبوظبي

كتب/صلاح بيصار

يعد فن الرمال أحد الفنون المسكونة بثراء التشكيل. وهو يمتد من التصوير في لوحات تعالج بالفرشاة، إلى المجسمات من فن النحت بالرمال. وهو يعد صديق البيئة فمكوناته الأساسية الرمل والماء. وتقام له المهرجانات والمسابقات وورش العمل على الشواطئ الرملية في مختلف بلدان العالم.

وتعد الفنانة الأوكرانية كسينيا سيمونوفا ذات شهرة كبيرة في لوحاتها التي شكلتها بالرمال، وقد نالت شهرة كبيرة في هذا الاتجاه. ومن بين أعمالها تصوير الحرب العالمية الثانية، التي كانت إدانة للحروب عموما حيث كانت من أسباب فصل عائلتها ونزوحها بسبب الحرب.

أما النحت بالرمال فيعطي أشكالا عديدة وعوالم متنوعة مثل القلاع والشخوص الإنسانية والحيوانات والنباتات مع الأشكال الخيالية ذات الطابع الفنتازي ويتم التشكيل من مواد طبيعية، وهو أحد الفنون البيئية التي تنتمي للحداثة، ولا تضر بالإنسان أو المحيط البيئي، ويقدم مع المهرجانات من خلال الجاليريهات والمشاهدات الرسمية ووكالات الإعلام والإعلان وأيضا وورش العمل. وتعد التماثيل هنا تعبيراً عن روح الإنسان المعاصر فهي تتشكل بعاطفية من القلب بطريقة عفوية.

ومن أهم مثالي الرمال الفنان الإنجليزي بول هوجارد الذي بدأ يمارس هذا الفن منذ عام 1992.

وهناك مهرجان يقام في أستراليا يستمر شهوراً، من أجل تشكيل عالم غريب ومخيف ومثير ومدهش من الفراشات والعناكب والرخويات والعقارب والمخلوقات والكائنات الصغيرة بأشكال رملية ضخمة وعملاقة على الشواطئ البحرية المفتوحة.

هذا مع المثال تيم بيرتون وفريق من الفنانين.

كما يحمل مهرجان التماثيل الرملية التاسع الذي يقام في العاصمة الروسية موسكو عنوان (الأسطورة والواقع .. ألغاز التاريخ) وهو يهدف إلى الكشف عن الألغاز التي كانت مثار اهتمام الباحثين والحالمين بعوالم أخرى طمرها التاريخ والجغرافيا.

والفنانون المشاركون هنا من روسيا وخارجها ممن لهم مكانة كبيرة وحصلوا على جوائز في تماثيل الرمال. ومن بين هذه التماثيل ما يشكل عالم الديناصورات البائدة مع الحياة المتخيلة للكائنات التي اندثرت عموما والتي كانت على كوكبنا، وسيناريو انقراضها بشكل مجسم وصولا إلى الحاضر حيث أصبحت رمزا للكائنات التي سحقها الزمن. كما جسدت مجموعة أخرى من الفنانين بيئة متخيلة عن قارة اتلانتس تلك القارة المفقودة التي دارت حولها القصص ونسجت الأساطير. بالإضافة إلى التماثيل الخاصة بأبطال التاريخ.

وهناك مهرجان للرمال بالهند تلك المساحة المترامية الأطراف وفيه يشكل الفنانون تماثيل عملاقة من وحي البيئة والتراث والأساطير هناك مثل المعابد ذات النقوش والمجسمات البارزة التي تشكل الآلهة الأسطورية والأشكال المجنحة بالإضافة إلى الشخصيات التاريخية مثل المهاتما غاندي مع الوجوه الإنسانية والحيوانات والطيور.

من أعمال الفنانة التشكيلية مريم الحويطي